

كتاب تحرير التحبير

في علم البربع

في خزانة كتب مسجد احمد باشا الجزائر بمدينة عكا نسخة من كتاب تحرير التحبير لابن ابي الأصبغ محرومة الآخر ولذلك لم يمكن تعيين زمن نسخها أو اسم ناسخها الا ان شكل الخط يدل على انه من خطوط القرن الثامن على أقل تقدير . وقد جاء في اول صفحة من الكتاب هذه العبارة :

وقف الله تعالى

أوقف وحبس وتصدق بهذا الكتاب الحاج احمد باشا الجزائر في جامعه الذي بعك « النور الأحمدي » على طالب العلم وانه لا يطلع من محله وفقاً صحيحاً شرعياً لا يباع ولا يرهن ولا يبدل فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم تحريراً لـ ٢٣ صفر ١١٩٧
ونحت ذلك خاتم هذا مثاله :

وما توفيتي الا بالله هذا وقف

الحاج احمد باشا الجزائر

« وصف المخطوطة »

هي بالقطع الصغير طول الصفحة منها ١٧ سانتيمتراً وعرضها ١٣ سانتيمتراً وفي كل صفحة ٥ : سطرًا وفي السطر من سبع الى عشر كلمات وهي بخط مشرق جميل لولا أن الأرضة قرضتها بعض كتابتها وحروفها بدون اعجام .
« مقدمة الكتاب »

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

قال العبد الفقير الى ربه المستغفر من ذنبه عبد العظيم بن عبد الواحد بن

ظافر بن عبد الله بن ذي الأصبغ (كذا) عني (كذا) الله تعالى عنه

الحمد لله حمداً يستعذب الحامد مساعهً والصلاة على من كانت أعظم آياته
البلاغهً وعلى آله وصحبه مازان حلّى الكلام من صيغ له ومن صاغه
وبعد فاني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت الى
عددٍ منه فروع وأصول .

فأصوله ما أشار اليها ابن المعتز في بديعه وقدمه في نقده لأنها أول من
معنى بتأليف ذلك .

أما ابن المعتز فهو الذي سماه بالبديع واقتصر في كتابه بهذه التسمية على
أبواب وهي استعارة انفرد بها .

على ان قدمه قد ذكرها في العيوب في ضمن ذكر المعاظلة لأنه قال :
ولا أرى المعاظلة إلا ما حسن من الاستعارة فاقضى كلامه ان يكون من
الاستعارة قبيح وحسن فالقبيح منه ما سماه معاظلة والحسن منها سماه ابن المعتز بديعاً
الى ان يقول المؤلف في مقدمته :

ولقد وقفت في هذا العلم على أربعين كتاباً منها ما هو منفرد به وما هذا العلم
او بعضه داخل في ضمنه كـنقدَي قدمه وابن المعتز وحلية المحاضرة وكشفت
عن الحالي والعاقل الذي ذكره الخاتمي في الحلية فلم أجد من يعترف بوقوفه
عليه سوى ابن منقذ في بديعه وكالصناعتين للمسكري والعمدة لابن رشيق
وتزييف النقد له ورسالة ابن بشر الأمدى في الرد على قدمه وكشف الظلامه
للموفق عبد اللطيف والنكت في الاعجاز للرماني والجامع الكبير له في التفسير
والتعريف والإعلام للسبيلي ورسالة ابن أفلح ، ونظم القرآن للجاحظ واعجاز
القرآن لابن الباقلافي والكاشف للزمخشري واعجاز الجرجاني وأسرار البلاغة له
واعجاز ابن الخطيب ورسالة الصولي التي قدمها على شعر أبي نواس ورسالته في
أخبار ابي تميم وشروح ابي العلاء الثلاثة وهي ذكر ابن حبيب وعبث الوليد ومعجز
أحمد والمنصف لابن وكيع والموازنة للأمدى والوساطة للجرجاني والغرر والدُرر

للمرتضى والمجاز لأخيه الراضي وشرح حديث أم زرع وما خصه من بدعيه
القاضي عياض رحمه الله والحديقة للحجاري ومر الفصاحة للخفاجي وبديع التبريزي
وبديع ابن عباد والمثل السائر لابن الأثير وبديع ابى اسحق الأجدابي وبديع
شرف الدين التيفاشي وهو آخر من ألف فيه تأليفاً قبلي فيما بلغني وجمع ما لم
يجمعه غيره لولا مواضع نقلها ولم ينعم النظر فيها وبعض ابواب تداخلت عليه
كغيره ولو أنعم النظر في ذلك لم يفته ما استدر كتبه عليه فان الرجل أمثل من
لقيته من أهل هذه الصناعة في وقتي هذا .

واذا وصلت الى بديع ابن منقذ في التداخل والتوارد وضم غير البديع
والمحسن الى البديع كأنواع العيوب وأصناف السرقات ومخالفة الشواهد والتراجم
وتغيير كلام الناس مما لا تعطيه الفاظهم وفنون من الخلل والزلل وصلت الى
كثير من الخطب والفساد ما وصل اليه غيره ولا وقف على علمه سواء وان كان
قل ما رأيت تأليفاً في هذا الشأن خلا عن بعض ما ذكرت بحسب منزلة مؤلفه
من العلم والفهم فمن كثير ومن قليل وكل واحد مأخوذ من قوله ومترك الا
من عصم الله من أنبيائه وحى من خواص أصفياؤه والسعيد من عدت سقطاته
وما أبرى نفسي ولا أدعي سلامة وضعي دون ابناء جنسي غير اني توجهت
بتحرير ما جمعت من هذه الكتب جهدي ودققت النظر بحسب طاقتي فنقحت
ما قدرت على تنقيحه وصححت ما قويت على تصحيحه وغيّرت ما وجب تغييره
ووضعت كل شاهد في موضعه وربما أثبت اسم الباب دون مسماه اذ رأيت
اسمه لا يدل على معناه الى ان جمعت جميع ما في كتب الناس من الأبواب
على ما قدمت من الشروط فكان ما جمعته من ذلك بعد ما قدمته من أصول
الأبواب ستين باباً من الفروع وهي :

الاحتراس ، المواردية ، التردد ، التعطف ، التفويض ، التسليم ، التورية ،
التوشيح ، الاستخدام ، النفاير ، الطاعة والعصيان ، التسميط ، المماثلة ، التجربة ،

التسجيع ، التصريح ، التصريح ، النسطير ، التعليل ، التطريز ، التوشيح ، العكس ،
الانغراق ، الغلو ، القسم ، الاستدراك ، الاستثناء ، الاشتراك ، جمع المختلف
والمؤتلف ، التوهيم ، الاطراد ، التكميل ، المناهبة ، التفريع ، التكرار ،
نفي الشيء ، بايجابه ، الاتباع ، الاستعانة ، الموازنة ، التذييل ، المشاكلة ، الموارد ،
التهذيب ، حسن النسق ، براعة التخلص ، الانسجام ، الحل ، والعقد ، التعليق ،
الادماج والازدواج ، الاتساع ، المجاز ، الايجاز ، سلامة الاختراع من الاتباع ،
حسن الاتباع ، حسن البيان ، التوليد ، التنكيث ، الاتفاق ، الاغراب ، الطرفة
وأضفت هذه الأبواب الستين الفروع الى الثلاثين الأصول فصارت الفذلكة
تسعين باباً ورأيت الأجدابي قد ذكر من محاسن القافية اربعة ابواب منها
بابان هما باب واحد سماهما بتسميتين غير مطابقتين لمعناهما فجعلتها باباً واحداً
على حكم ما أخذت به نفسي من حذف المتداخل وسميته الالتزام وعند ذكر
شواهد تعلم مطابقة هذه التسمية لمساها وبابان غير متداخلين سماهما اسمين غير
لائقين بمعناهما سميت الواحد تشابه الأطراف والآخر القوم فسلمت للأجدابي
ثلاثة أبواب عوضت بها ما تداخل في باب التهذيب من بابي ائتلاف اللفظ
مع الوزن والمعنى مع الوزن وما تداخل في باب التمكن من ائتلاف القافية مع
ما بدل عليه سائر البيت لتصبح عدة الأبواب تسعين باباً كلها من المحاسن ليس
فيها شيء من ضرور العيوب سليمة من كل ما وقع فيه غيري في ابوابه والله أعلم
ولما خطر لي ان اتخف به الجنب العالي المولوي العالمي الفاضلي رئيس الأصحاب
أفضل الكتاب فاضل العصر علامة الزمان ، أوحده الشاميين فريد العراقيين
مفتي الفرق كمال الدين ابو القاسم ابن أبي الحسن احمد بن هبة الله العقيلي البصري
الحلي المولد والمنشأ رحم الله سلفه كما رحم به من عرفه وأمنعه بفضائله كما
أمتع الفضلاء بفواضله .

الى ان يقول :

وهذا اوان سياقة أبوابي التي استنبطتها وأنواعي التي اخترعتها وهي :

التخبير ، التدييج ، التمزيج ، الاستقصاء ، البسط ، الهجاء في معرض المدح ،
العنوان ، الايضاح ، التشكيك ، الحيز ، الابدغال ، الشماتة ، التهكم ،
التدبر ، الانتحال بعد المغالطة ، الفرائد ، التصرف ، النزاهة ، التسليم ، الافتنان ،
المراجعة ، السلب والايجاب ، الابهام ، القول بالموجب ، حصر الجزئي والحاقه
بالكلي ، المقارنة ، المناقضة ، الانفصال ، الابداع ، حسن الخاتمة .

وألحقت ذلك بما تقدم من الأبواب فصارت عدة أبواب الكتاب مائة باب
وعشرين باباً سوى ما انشعب من أبواب الائتلاف وغيره كالجناس والطباق
والتصدير وسميته تحرير التخبير .

وجملة هذه الأبواب على ضربين ضرب يختص بالشعر وضرب يعتم الشعر
والنثر وذلك ظاهر لمن يبحر في هذا الكتاب والله سبحانه وتعالى المسئول في
حسن النوفيق الى التحقيق لتهتدي الى سبيل الرشده ونهج الصواب وسعادة يرزق
بها هذا التأليف حسن القبول من رئيس الأصحاب ومن ينظر فيه من ذوي
الألباب انه الكريم الوهاب وهذا اوان الشروع في تفصيل جملة الأبواب .

وبدا المؤلف في باب الاستعارة ثم أتى على باب التجنيس وفرعه الى تجنيس
التغاير ، والتجنيس المستوفى ، وتجنيس التماثل ، وتجنيس النصحييف ، وتجنيس التحريف ،
وتجنيس التصريف ، وتجنيس الترجيع ، وتجنيس العكس ، وتجنيس التركيب ،
والتجنيس المضاف .

ثم أتى على باب الطباق فباب ردة الاعجاز على الصدور (بقول المؤلف) وهو
الذي سماه المتأخرون التصدير فباب المذهب الكلامي فباب الالتفات فباب التمام
أو التتميم فباب الاستطراد فباب تأكيد المدح بما يشبه الذم فباب تجاهل العارف
فباب الهزل الذي يراد به الجد فباب حسن التضمنين فباب الكناية فباب

الافراط في الصفة فباب التشبيه فباب عتاب المرء نفسه فباب حسن الابتداء آت
وفرع المتأخرون منه براءة الاستمهلال فباب صحة الأقسام فباب صحة المقابلات
فباب صحة التفسير والتبيين فباب ائتلاف اللفظ مع المعنى فباب المساواة فباب
الإشارة فباب الإرداف والسبيح فباب التمثيل فباب ائتلاف اللفظ مع الوزن
فباب ائتلاف المعنى مع الوزن ، فباب ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت .
وقبل أن ينتهي هذا الباب يبدأ الخرم في الكتاب

والمؤسف انه لم يشرح من الأبواب سوى ٢٨ باباً وضاع علينا في الخرم
بقية الثلاثين الأصلية كما ضاعت الأبواب التسعين التي أضافها .

وقد تأنق المؤلف في انتقاء الشواهد فنقل عن الفرزدق :

لكل امرئ نفس كريمة ونفس بعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسك تشفع للندی اذا قل من أحرارهن شفيحها
وعن امرئ القيس :

وليل كوج البحر مرخ سدوله علي بأنواع الموم لبيتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
وعن الجعري :

اذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر أرماح تقطع بينهم شواجر أرحام ملوم قطوعها
وعن حسان :

وانما الشعر لب المرء بعرضه على المجالس ان كيساوان حمقا
فان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

ونحتم مجئنا هذا بنقل ما أورده ملا كاتب چلي الشهير بجاجي خليفة أيضاً
في كتابه كشف الظنون عن هذا الكتاب قال^(١) :

(١) كشف الظنون طبع الأستاذة جزء ١ ص ١٩٠ م (٤)

«ثم تصدّى لها (بمعنى لأنواع البديع) ركن الدين عبد العظيم بن أبي الأصبع المتوفى سنة ٦٥٤ فأوصلها إلى التسعين وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين مسلماً له منها عشرون وأخرى تلك الأنواع في الآيات القرآنية وسماه التحرير وهو أصح كتاب صنف فيه لأنه لم يتكل على النقل دون النقد وذكر أنه وقف على أربعين كتاباً في هذا العلم» .

قلنا ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تقع في ٢٨٠ صفحة جاء فيها جده باسم أبي الأصبع بينما هو في مخطوطتنا هذه باسم ذي الأصبع وهذا من خطأ الناسخ الماسخ .
ولابن أبي الأصبع غير هذا الكتاب كتاب بديع القرآن وكتاب الجواهر والسوابج في سرائر القرائح وغيرها من المؤلفات يضاف إلى ذلك أن عبد الحي ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ قد ترجم له في كتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» فقال (١) :

« وفي سنة ٦٥٤ توفي زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري وعُرف بابن أبي الأصبع صنف كتاب تحرير التخبير في البديع لم يصنف مثله» .

قلنا وقد جاء لقبه في هذه الترجمة زكي الدين ولكنه جاء في كشف الظنون ركن الدين وقد يتشابهان .

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (٢) في مادة ص.ب.ع وابن أبي الأصبع متأخر كتب عنه الحافظ الهمداني . . .

— كمال الدين الذي ألف الكتاب باسمه وأتحف به —

يظهر أن كمال الدين أبا القاسم عمر بن أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم المتوفى سنة ٦٦٦ هـ «١٢٦٧ — ١٢٦٨ م»

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٥

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٥٠ طبعة الميمنية بمصر

كما ذكره محمد بن شاكر بن احمد الكتبي في فوات الوفيات « ج ٢ ص ١٠١ »
 كان يملك خزانة كتب حافلة بالمؤلفات الممتعة فقد جاء بطرّة الجزء الرابع من
 كتاب المغرب في محلى المغرب الذي صنّفه بالموارثة في مائة وخمسة عشرة
 سنة ابو محمد الحجاري ، عبد الملك بن سعيد ، احمد بن عبد الملك ، محمد بن
 عبد الملك ، موسى بن محمد ، علي بن موسى ما يلي :

« كتبه بخطه للخزانة العلية الجليلة صاحبة الكمالية عمرها الله ببقاء صدر
 الصدور الشامية رئيس الأئمة الحنفية سيد الوزراء والأصحاب الصاحب الكبير
 كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي أحى الله
 بطول حياته دولة الفضائل وأبقى بدوام بقائه نجاح الوسائل مكمل تصنيفه باعائه
 علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد
 ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمار
 ابن ياسر العنسي الأندلسي » .

وقد نقل علي بن موسى هذا عن كمال الدين تقييدات مفيدة وقصائد مدحه
 بها شعراء زمانه كما نقل من كتب أخذها من خزانته حقائق تاريخية حربية
 بالتدوين والتذكر ولم يدع سائحة الا انتهزها للشناء عليه وامتداحه .

عبد الله مخلص

